مــقدّمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فإن العدل دستور الحياة به قامت وعليه ارتكزت كل مظاهرها وأينما وجد العدل وجدت الحياة الطيبة ، وحيثما غُيِّبَ العدلُ فقدت الحياة مسوغاتها ومعناها ، وأصبح الموت أهنأ منها ، لهذا كله فقد أمر الإسلام بالعدل في كل شيء ومع كل شيء ، بل إن كلمة الله في الأرض سبحانه وتعالى قامت على العدل فقال سبحانه وتعالى : ((وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)) (الأنعام ١١٥) .

ومن أجل تسليط الضوء على هذه القضية المهمة رأيت أن أجمع الآيات القرآنية التي تحدثت عن موضوع العدل في القرآن في مكان واحد ، وأعمل النظر فيها مجتمعة لكي نرى بوضوح تام كيف تناول القرآن الكريم قضية العدل ، وإلى إي مدى بعيد ذهب في التشريع لها .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون على الترتيب الآتي :

- المبحث الأول : العدل في اللغة .
- المبحث الثاني : الآيات القرآنية التي تحدثت عن العدل.
- المبحث الثالث : العدل في القرآن الكريم ويتضمن :

١. أمر الله سبحانه وتعالى بالعدل .

٢. أمر الأنبياء لأتباعهم بالعدل.

٣. الأشياء التي اشترط الله فيها العدل .

٤. النهي عن مقارفة موانع إقامة العدل .

وأرجو من الله التوفيق والسداد في إبراز هذه الموضوع بالشكل الذي يستحقه لاسيما وقد اكتوت البشرية جمعاء في عصرنا هذا بنار الظلم والطغيان ، بسبب تخلي الناس عن تحكيم العدل وإشاعته بينهم ، فإن وفقت فمن الله وله الفضل والمنة ، وإن كانت الأخرى فأرجوا من الله أن لا يضيع مني الأجر الجزيل على حسن نيتي ، ومن الله التوفيق .

المبحث الأول : العدل في اللغة .

تطلق لفظة (العدل)في العربية ويراد بها الاستقامة والنُصْفَة وما خالف الجور والظلم ،قال الخليل : (عدل: العدل: المرضي من الناس قوله وحكمه هذا عدل، وهم عدل، وهم عدل، فإذا قلت: فهم عدول على العدة قلت: هما عدلان، وهو عدل بين العدل. والعدولة والعدل: الحكم بالحق

قال زهير

متى يشتجر قوم يقل سرواتهم * هم بيننا فهم رضى وهم عدل

وتقول:هو يعدل، أي: يحكم بالحق والعدل. وهو حكم عدل ذو معدلة في حكمه. وعدل الشئ: نظيره، هو عدل فلان. وعدلت فلانا بفلان أعدله به. وفلان يعادل فلانا، وإن قلت: يعدله فحسن. والعادل. المشرك الذي يعدل بربه. والعدلان: الحملان على الدابة، من جانبين، وجمعه: أعدال، عدل أحدهما بالآخر في الاستواء كي لا يرجح أحدهما بصاحبه.)[١]

قال الأزهري (العَدْلُ: الاستقامة. وقال عَدْلُ الشئ وعِدْله سواء أي مثله.)[٢]

وبهذا المعنى صرح ابن منظور حينما قال : (العَدْل ما قام في النفوس أَنه مُسْتقيم وهو ضِدُّ الجَوْر عَدَل الحاكِمُ في الحكم يَعْدِلُ عَدْلاً وهو عادِلٌ من قوم عُدُولٍ وعَدْلٍ الأَخيرة اسم للجمع كتَجْرٍ وشَرْبٍ وعَدَل عليه في القضيَّة فهو عادِلٌ وبَسَطَ الوالي عَدْلَه ومَعْدِلَته وفي أَسماء الله سبحانه العَدْل هو الذي لا يَمِيلُ به الهوى فيَجورَ في الحكم)[٣]

المبحث الثاني :الآيات التي وردت فيها لفظة العدل

من أجل تسليط الضوء على موضوع العدل في القرآن رأيت من المناسب أن أورد جميع بالآيات التي تحدثت عن العدل في القران الكريم لكي يسهل تناولها بالدرس والتفكر .

---

(١) العين ٦٤/٣ .
(٢) تهذيب اللغة ٢٢٢/١ .
(٣) لسان العرب ٣٤٠/١١ .

وقد وجدت أن القران تحدث عن العدل الذي هو بمعنى الاستقامة ومجانبة الجور في ثمانية عشر موضعا ، من دون أن نقف أمام لفظة العدل التي وردت في معان أخرى كالفداء في قوله تعالى : (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) (البقرة ٤٨)

والانحراف عن الحق كما في قوله تعالى : (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) (النمل ٦٠).

واليك هذه الآيات مرتبة حسب ورودها في القران الكريم:

قال تعالى :

- ((وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى)) البقرة ٢٨٢
- ((وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا)) النساء ٢
- ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)) النساء ٥٨

.

- ((وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا)) النساء ١٢٩ .
- ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)) النساء ١٣٥ .
- ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)) المائدة ٩ .
- ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ)) المائدة ٩٥ .
- ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ)) المائدة ١٠٦ .
- ((وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا

يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ)) الأنعام ٧٠ .

- ((وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)) الأنعام ١١٥ .
- ((وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)) الأنعام ١٥٢ .
- ((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) النحل ٧٦ .
- ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)) النحل ٩٠ .
- ((فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)) الشورى ١٥ .
- ((وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)) الحجرات ٩ .
- ((فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا)) الطلاق ٢.

المبحث الثالث : **العدل في القرآن الكريم** :

من خلال تتبعنا للآيات التي تحدثت عن العدل وجدنا أن بالإمكان تقسيمها إلى أربعة محاور ، ويمكن تناول كل محور منها بمطلب مستقل ،

المطلب الأول : **أمرُ اللّهِ سبحانه وتعالى عباده عامة بالعدل** .

لأجل أن يأخذ العدل مكانته الحقيقية في قلوب الناس بشكل عام وفي قلوب المؤمنين بشكل خاص ، فقد أمر سبحانه وتعالى بالعدل بشكل مباشر ، لكي يقطع الطريق على كل متقول يريد أن ينزل بالعدل إلى مستوى آخر دون المستوى الذي أراده الله له ،فلم يكتف القران الكريم بالأمر بالعدل كما في قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))آل عمران ٢٠٠ .ففي هذه الآية الكريمة نجد أمرا من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين بالصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى ، وهو أمر يمكن أن يخرج إلى أغراض أخرى بحسب السياق والقرائن .

وأعني بالأمر المباشر أن يخبر الله عن نفسه بأنه يأمرنا بذلك ، وهو قوله تعالى :((إِنَّ اللَّهَ **يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ** وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)) النحل ٩٠ .

وقال تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ **يَأْمُرُكُمْ** أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا **بِالْعَدْلِ** إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)) النساء ٥٨ .

فلم تأت هذه الصيغة في غير هاتين الآيتين الكريمتين حيث أخبرنا سبحانه وتعالى عن نفسه بأنه يأمرنا بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وقد قدم العدل على غيره، إبرازا لأهميته في الآية الأولى ، ويأمرنا بأداء الأمانات إلى أهلها ، وبالعدل في الحكم بين الناس في الآية الثانية .

ووردت لفظة الأمر مرة أخرى فيما يدخل في معنى العدل وهو (القسط) قال تعالى: ((قُلْ **أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ** وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ)) الأعراف ٢٩ .

قال الزمخشري : (العدل هو الواجب؛ لأن الله تعالى عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعاً تحت طاقتهم { والإحسان } الندب؛ وإنما علق أمره بهما جميعاً؛ لأنّ الفرض لا بدّ من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب)[١]

والعدل المأمور به هنا هو تخير الأفضل في كل الأمور قال الآلوسي رحمه الله : ({ إِنَّ الله يَأْمُرُ } أي فيما نزله عليك تبياناً لكل شيء ، وإيثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لإفادة التجدد والاستمرار { بالعدل } أي بمراعاة التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط ، وهو رأس الفضائل كلها يندرج تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الجربزة والبلادة ، وفضيلة القوة الشهوية البهيمية من العفة المتوسطة بين الخلاعة والجمود ، وفضيلة القوة الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن .)[٢]

المطلب الثاني : أمر الله أنبياءه خاصة بالعدل.

في هذا المطلب سنركز على قضية مهمة تتعلق بالعدل ألا وهي ، إن الأنبياء عليهم السلام بعثوا بالعدل ، وأمروا به من قبل الباري سبحانه وتعالى ، وليس قضية أملتها عليهم الظروف فاستجابوا إليها قال تعالى : ((فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ **لِأَعْدِلَ** بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ)) الشورى ١٥ .

فلم ترد في القرآن الكريم لفظة الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا مع العدل ، وفي هذا رفع لشأن العدل في قلوب المسلمين أيما رفع ، لأننا إذا آمنا أن

---

(١) الكشاف ٣٩١/٣ .
(٢) تفسير الآلوسي ٢٧٩/١٠ .

الرسول صلى الله عليه وسلم مأمور به بلفظة (الأمر) علمنا أنه لا يسع مسلما أن يتنكب العدل في أي جزيئية من جزئيات الحياة .

قال ابن عجيبة : ({ وأُمرتُ لأعْدِلَ بينكم } في الحكم إذا تخاصمتم فتحاكمتم إليّ ، أو : في تبليغ الشرائع والأحكام ، لا أخص بعضاً دون بعض ، أو : لأُسوِّي بيني وبينكم ، ولا آمركم بما لا أعملُ به ، ولا أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه . أو : لا أفرق بين أكابركم وأصاغركم . واللام : إما على حقيقتها ، أي : أمرت بذلك لأعدل ، أو : زائدة ، أي : أمرت أن أعدل بينكم .)[١]

وقال ابن عطية : ({ وأمرت لأعدل بينكم } لأسوِّي بينكم في الإيمان بكتبكم . وقيل : لأعدل بينكم في القضية .)[٢]

وهنا لا بد لنا من وقفة تبين لنا بشكل جلي الترابط الرائع بين مطلع الآية التي يقول فيها سبحانه وتعالى مخاطبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم : ((وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ)) وبين ختامها الذي يقول فيه على لسانه صلى الله عليه وسلم : ((وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ))، حيث أن الاستقامة المأمور بها في مطلع الآية متضمنة لمعنى العدل المأمور به ، لأنه من الثابت عند علماء العربية كما قدمنا في المبحث اللغوي أن معنى العدل : ما قام في النفوس أنه مستقيم.ولذا حينما أجمل الله الخطاب لنبيه صلى الله عليه وسلم بالأمر بالاستقامة ، بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الإجمال فقال في بيانه : أمرت لأعدل بينكم.

وبهذا نستطيع أن نقول وبالله التوفيق : إن الله سبحانه وتعالى لم يأت بلفظة (الأمر) منسوبة إليه تجاه عباده عامة أو تجاه أنبيائه إلا والعدل حاضر في المأمور به يقبل التأويل ومصرح به بشكل لا يقبل التأويل أو التعطيل .

المطلب الثالث : الأشياء التي اشترط الله فيها العدل .

---

(١) تفسير ابن عجيبة ٤٢٥/٥ .
(٢) الوجيز ٨٥٧/١ .

أولاً: العدل في القول

اشترط الله العدل في القول على الناس جميعا، وعلى المسلمين بشكل خاص، لما في مجانبة العدل في القول من الأثر السيئ على جميع مرافق الحياة ، وقد تنوعت صيغ هذا الشرط الرباني ، وتعددت ألفاظه بما يشعر بأهميته ، فجاء مرة بلفظه العدل ، وبصيغة الجملة الشرطية فقال سبحانه وتعالى : ((وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا **وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى** وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)) (الأنعام ١٥٢) .

ومرة أخرى جاء باللفظ المفسر للعدل في القول لكي لا يدعي مدع أنه لا يعرف معنى العدل في القول فقال سبحانه وتعالى : ((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ)) (البقرة ٨٣) .فأصبح واضحا بعد الجمع بين معنى الآيتين أن العدل في القول هو(الحسن)، ولا لاشك أن الله أودع في قلوب الناس وعقولهم القدرة على التمييز بين (الحسن) وضده وبين (العدل)وضده .

قال الماوردي رحمه الله : ({ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى } يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : إذا حكمتم فأنصفوا .

الثاني : إذا شهدتم فاصدقوا .

الثالث : إذا توسطتم فلا تميلوا .)[1]

قا ل أطفيش : ({ وإذا قُلْتُمْ } تكلمتم فى قضاء أَو إفتاء أَو وعظ أَو أَمر أَو نهى أَو حكاية أَو أَداء شهادة وتأدية أَحكام الشرع ، ولتضمن القول هنا معنى التكلم لم يكن له مفعول به ، أَو لم يذكر لعدم تعلق المقام به فصار كاللازم ، والفعل

([1]) تفسير الماوردي ٤٥٦/١ .

كالقول هكذا أَو إذا قلتم أَو فعلتم ، أَو يراد بالقول ما يشمل الفعل مجازا { فَاعْدِلُوا } فى ذلك القول أَو لفعل ، لا تجوروا فى القضاء ولا تزيغوا فى الإفتاء أَو الوعظ ، ولا تيدوا أَو تخلطوا فى حكاية قصة ولا تأمروا بمنكر أَو تنهوا عن المعروف ، ولا تنقصوا أَو تزيدوا فى الهشادة فإن ذلك كله غير عدل { وَلَوْ كَانَ } أَى المقول له أَو عليه أَو المفعول له أَو علي { ذَا قُرْبَى } فتدعوكم أَنفسكم إلى فعل أَو قول له ، أَو إزاحة ضر لازم له أَو فعل كذلك مع أَنه ليس ذلك حقا له ، لا تتركوا حقا ضاراً له أَو بعضه ولا فعلا ضارا له أَو بعضه وهو حق عليه .)[١]

ثانيا : العدل في الحكم

ومن الأمر التي أوجب الله تعالى فيها العدل ونص عليه ، العدل في الحكم ،والعدل الواجب في الحكم ليس متعلقا بالمسلمين فقط ، وإنما العدل واجب في الحكم عامة ، ومع جميع الناس .

قال تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا **وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)) نساء ٥٨ .

قال البيضاوي : ({ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ الناس أَن تَحْكُمُواْ بالعدل } أي وأن تحكموا بالإنصاف والسوية إذا قضيتم بين من ينفذ عليه أمركم ، أو يرضى بحكمكم)[٢]

وقال حقي في تفسيره : ({ واذا حكمتم } اى ويأمركم اذا قضيتم { بين الناس ان تحكموا بالعدل } والانصاف والتسوية)[٣]

فالإسلام يأمر بالعدل والإنصاف مع جميع الناس وليس مع المسلمين فقط ، فإذا كان ذلك كذلك فإلى أي مدى نحن مطالبون بالتعامل بالعدل فينا بيننا نحن المسلمون وقد أخبنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن ذلك ببيان رائع حينما قال

---

(١) تفسير أطفيش ٧٣/٣ .
(٢) تفسير البيضاوي ٤٦٦/١ .
(٣) تفسير حقي ٤٩٩/٢ .

: برواية الهيثمي حينما قال : (حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلامٍ ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ عَنْ زِيَادِ بْنِ مِخْرَاقٍ عَنْ رَجُلٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : لَعَمَلُ الْعَادِلِ فِي رَعِيَّتِهِ يَوْمًا وَاحِدًا أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ الْعَابِدِ فِي أَهْلِهِ مِائَةَ عَامٍ أَوْ خَمْسِينَ عَامًا الشَّاكُّ هُشَيْمُ)[١]

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب إلى اشتراط العدل إلى أكثر من ذلك فقال فيما يرويه عنه الترمذي بسنده : (مَنْ كانت له امرأتان فلم يَعْدِلْ بينهما جاء يوم القيامة وشِقُّهُ ساقط)[٢]

بل إن العدل يستغرق جميع مناحي الحياة ولا يمكن لأحد أن لا يكوم مسؤولا عن تحقيقه بمقتضى حديث النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[٣]

ثالثا: العدل في الشهود

ومن الأمور التي أوجب الله تعالى فيها العدل ، الشهود في كل القضايا التي تعن لهم ، قال سبحانه وتعالى في اشتراط العدالة في الشهود : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ **ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ** أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ)) المائدة ١٠٦ .

وقال أيضا : ((فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ **وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ** وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا)) الطلاق ٢.

---

(١)بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث للهيثمي ، ٢٢٦/٢ ، رقم الحديث (٥٩٧) .
(٢) سنن الترمذي ،٣٠٤/٢ رقم الحديث (١١٥٠) وقال الترمذي فيه : (وإنما أسند هذا الحديث همام بن يحيى عن قتادة . ورواه هشام الدستوائى عن قتادة قال : كان يقال. ولا نعرف هذا الحديث مرفوعا إلا من حديث همام .)
(٣) الأدب المفرد للبخاري ٨٢، رقم الحديث ٢٠٦ .وقال الألباني : (صحيح).

ولو تأملنا في هذه الآيات التي أوردناها لوجدنا أن الشهود الذين رضيهم الله لنا لا بد أن يتصفوا بالعدالة ، فمن تحققت فيه العدالة كان رضا وكان داخلا في قوله تعالى : ((وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ **مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ**))(البقرة ٢٨٢) فليس كل مسلم مرضي الشهادة بدلالة قوله تعالى : (**مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ**) ، ومعلوم أن لفظة (من)هنا تبعيضية ، بمعنى بعض الشهداء مرضي الشهادة ، وهم الذين خصصهم الله تعالى بقوله : (**وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ**)

رابعا : العدل في كُتَّاب العقود

من الأمور التي اشترط الله سبحانه وتعالى فيها العدل بين الناس ، هو عدالة الكاتب الذي يوثق العقود والمعاملات المالية بين الناس ، حفاظا عليها من التغيير والتبديل ، وقد تميز الإسلام عن غيره من الأديان والشرائع بهذا التوثيق الذي انفرد به ثم شاع استعماله في جميع دول العالم.

فقال سبحانه وتعالى في اشترط عدالة الكتاب : ((**وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ** وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ))(البقرة ٢٨٢) .

قال مالك : (لا يكتب الكتاب بين الناس إلا عارف بها عدل في نفسه مأمون على ما يكتبه : لقوله تعالى : { وليكتب بينكم كاتب بالعدل })[1].

وقال ابن المنذر بسنده : (حدثنا أبو يحيى ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : أخبرنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي في قوله عز وجل : { وليكتب بينكم كاتب بالعدل } قال : بالحق .

وقال أيضاً: حدثنا أبو يحيى ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : وحدثت عن ابن حيان في قوله : { وليكتب بينكم كاتب بالعدل } قال : أمر الكاتب أن يكتب بينهما بالعدل)[1]

([1]) التحصيل ١٤٢ .

خامساً : العدل في المحَكَّمين

ومما اشترط الله سبحانه وتعالى فيه العدالة بين الناس: (التحكيم) ، فلا يقبل التحكيم إلا من رجل عرف بالعدالة ،لكي يكون حكمه مرضيا من جميع الأطراف ، ولا بد لهؤلاء المحكمين أن تكون أحكامهم بعد ذلك وفق العدل والإنصاف.

قال سبحانه وتعالى في اشتراط العدالة في المحَكَمين : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ **يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ** هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ)) المائدة ٩٥ .

وقال أيضا : ((وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ **فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا** إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)) الحجرات ٩ .

فلا بد لمن يتصدى للإصلاح بين الناس أن يكون العدل والإنصاف رائده في أحكامه ، ولا يتجاوزه إلى الظلم والجور تحت أي ظرف من الظروف .

قال الشعراوي : (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ { وهم الذين لا يميلون عن الحق، ويقيمون الميزان.ويأمرنا الحق أن نحكم بالإنصاف لنكون من ذوي العدل، أي أن الإنسان حين يواجه خصمين فهو يعطي نصفه لخصم ونصفه الآخر للخصم الثاني، فلا يميل بالهوى ناحية أحدهما. ولا يدير الإنسان وجهه إلى الخصم أكثر مما يديره للآخر.)[٢]

قال مقاتل : (({ فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا } يعني وأعدلوا { إن الله يحب المقسطين } آية يعني الذين يعدلون بين الناس .)[٣]

---

(١) البحر المحيط ٣٤٣/٢ .
(٢) تفسير الشعراوي٧٥٧/١.
(٣)تفسير مقاتل٢٦١/٣ .

قال ابن جرير الطبري : ({ فأصلحوا بينهما }: أي بالدعاء إلى حكم كتاب الله ، والرضا بما فيه ، لهما وعليهما ، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل .)[1]

المطلب الرابع : النهي عن مقارفة موانع إقامة العدل .

ولأجل إقامة العدل كاملا في نفوس الناس وفي حياتهم فقد احتاط القران الكريم لذلك أيما احتياط ، ونهى عن مقارفة كل ما من شأنه أن يكون عارضا من إقامة العدل ، سواء كان ذلك قيمة معنوية أم سلوكا اجتماعيا ، وسوف نعرض لهذه النصوص ونقف أمام كل نص منها بما نستطيع تأملا وتحليلا .

أولاً : النهي عن البغضاء المانعة من إقامة العدل:

لقد ارتقى القرآن بالمؤمنين إلى أعلى الدرجات من التعامل السامي الذي يمكن لبشر أن يتخيله في هذه القضية ، لأن الاختلاف والتباين في الأفكار والمشارب سمة ملازمة للبشر ، والقران يؤمن بهذا الاختلاف ويقره بل يجعله جزءا من الفطرة الإنسانية حيث يقول سبحانه وتعالى في هذا الخصوص : ((وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ** خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)) (هود ١١٨-١١٩) .فالقرآن يقر بوجود الاختلاف لكنه لا يسمح أن يكون الاختلاف مانعا من إقامة العدل حتى مع من نختلف معهم.

قال سبحانه وتعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى** وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٨) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)) (المائدة ٩) .

وقد أسهب المفسرون في بيان معنى هذه الآية الكريمة ووقفوا أمامها طويلا.

([1]) تفسير الطبري١٢٧/٢٧ .

قال الزمخشري : (نهاهم أولاً أن تحملهم البغضاء على ترك العدل ، ثم استأنف فصرّح لهم بالأمر بالعدل تأكيداً وتشديداً ، ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله : { هُوَ أَقْرَبُ للتقوى } أي العدل أقرب إلى التقوى ، وأدخل في مناسبتها . أو أقرب إلى التقوى لكونه لطفاً فيها . وفيه تنبيه عظيم على أن وجود العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة ، فما الظنّ بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه؟)[1]

وقال الآلوسي رحمه الله : ({ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ } أي لا يحملنكم { عَلَيْهِ قَوْمٌ } أي شدة بغضكم لهم { عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ } فلا تشهدوا في حقوقهم بالعدل ، أو فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل { اعدلوا } أيها المؤمنون في أوليائكم وأعدائكم ، واقتصر بعضهم على الأعداء بناءاً على ما روي أنه لما فتحت مكة كلف الله تعالى المسلمين بهذه الآية أن لا يكافئوا كفار مكة بما سلف منهم ، وأن يعدلوا في القول والفعل { هُوَ } راجع إلى العدل الذي تضمنه الفعل ، وهو إما مطلق العدل فيندرج فيه العدل الذي أشار إليه سبب النزول ، وإما العدل مع الكفار { أَقْرَبُ للتقوى } أي أدخل في مناسبتها لأن التقوى نهاية الطاعة وهو أنسب الطاعات بها ، فالقرب بينهما على هذا مناسبة الطاعة للطاعة ، ويحتمل أن يكون أقربيته على التقوى باعتبار أنه لطف فيها فهي مناسبة إفضاء السبب إلى المسبب وهو بمنزلة الجزء الأخير من العلة ، واللام مثلها في قولك : هو قريب لزيد للاختصاص لا مكملة فإنه بمن أو إلى . وتكلف الراغب في توجيه الآية فقال : فإن قيل : كيف ذكر سبحانه { أَقْرَبُ للتقوى } ، وأفعل إنما يقال في شيئين اشتركا في أمر واحد لأحدهما مزية وقد علمنا أن لا شيء من التقوى ومن فعل الخير إلا وهو من العدالة؟ قيل : إن أفعل وإن كان كما ذكرت فقد يستعمل على تقدير بناء الكلام على اعتقاد المخاطب في الشيء في نفسه قطعاً لكلامه وإظهاراً لتبكيته فيقال لمن اعتقد مثلاً في زيد فضلاً وإن لم يكن فيه فضل ولكن لا يمكنه أن ينكر أن عمراً أفضل منه : اخدم عمراً فهو أفضل من زيد ،

([1]) تفسير الزمخشري ٢ /٧ .

وعلى ذلك جاء قوله تعالى : { الله خَيْرٌ * أَمَّا يُشْرِكُونَ } [النمل : ٥٩] وقد علم أن لا خير فيما يشركون .

والجملة في موضع التعليل للأمر بالعدل ، وصرح لهم به تأكيداً وتشديداً ، وأمر سبحانه بالتقوى بقوله جل وعلا : { واتقوا الله } إثر ما بين أن العدل أقرب لها اعتناءاً بشأنها وتنبيهاً على أنها ملاك الأمر كله).[1]

فإذا كان هذا هو موقف الإسلام من إقامة العدل مع المخلفين الذين يبادلوننا الشَنَئان والبغضاء ، فما بالك بمن هو على دينك ، وليس بينك وبينه شيء من موجبات الاختلاف والشحناء .

ثانياً: النهي عن إتباع الهوى المانع من العدل .

ومما وقف القرآن أمامه في النفس البشرية بقصد إصلاحه ، هو وجود الهوى في النفس ، الحامل على الجور ومجانبة العدل ، فعمد إلى تهذيب النفس من ذلك الهوى ، لأن القرآن يريد أن يصل بالمؤمنين به إلى حقيقة راسخة بالنفوس ، وهي :أنه لا مناص من إقامة العدل، تحت كل الظروف ، على تبدل الزمان والمكان ، وأن نجاة المؤمنين يوم القيامة مرتبطة بمساحة تحقيق العدل في الحياة عكسا وطردا .

قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا)) النساء ١٣٥

قال ابن كثير : (يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط، أي بالعدل، فلا يعدلوا عنه يمينا ولا شمالا ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يصرفهم عنه صارف، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه.

وقوله: { شُهَدَاءَ لِلَّهِ } كَمَا قَالَ { وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ } أي: ليكن أداؤها ابتغاء وجه الله، فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقا، خالية من التحريف والتبديل والكتمان؛

([1])تفسير الآلوسي ٤٠٧/٤ .

ولهذا قال: { وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ } أي: اشهد الحق ولو عاد ضررها عليك وإذا سُئِلت عن الأمر فقل الحق فيه،وإن كان مَضرة عليك، فإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجا ومخرجا من كل أمر يضيق عليه.

وقوله: { أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ } أي: وإن كانت الشهادة على والديك وقرابتك، فلا تُراعهم فيها، بل اشهد بالحق وإن عاد ضررها عليهم، فإن الحق حاكم على كل أحد، وهو مقدم على كل أحد.

وقوله: { إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا } أي: لا ترعاه لغناه، ولا تشفق عليه لفقره، الله يتولاهما، بل هو أولى بهما منك، وأعلم بما فيه صلاحهما.

وقوله { فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا } أي: فلا يحملنكم الهوى والعصبية وبغْضَة الناس إليكم، على ترك العدل في أموركم وشؤونكم، بل الزموا العدل على أي حال كان)[1]

ثالثا: النهي عن تعدد الزوجات عند خشية عدم العدل.

تعد مسألة تعدد الزوجات من المسائل المباحة الطيبة ابتداء في القرآن الكريم لقوله تعالى : ((وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ))(النساء ٣) .

لكن هذه المسألة تخرج إلى الحرمة أو الكراهة الشديدة بمجرد حصول الخوف من عدم تحقيق العدل بين الزوجات ، لذلك أعقب الله سبحانه وتعالى مباشرة بعد تشريعها وإباحتها الأمر بمراقبة تحقيق العدل والاحتياط له فقال سبحانه وتعالى : ((فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا))(النساء ٣).

فانظر كيف امتدت مساحة العدل والاحتياط له حتى وصل إلى المباحات ، وفي هذا تربية عالية للمؤمنين على مراعاة العدل وعدم التفريط به.

قال أبو الليث السمرقندي: (ثم قال تعالى : { فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ } في القسم والنفقة { فواحدة } يقول : تزوجوا امرأة واحدة ، وإن خفتم ألا تعدلوا في الواحدة

([1]) تفسير ابن كثير ٤٣٣/٢ .

{ أَوْ مَا مَلَكَتْ أيمانكم } يعني الإماء ، ويقال إن خفتم ألا تعدلوا في القسم بين النساء فواحدة ، أي واشتروا الإماء لأن الواحدة لا تحتاج إلى القسمة ، والإماء لا يحتاج فيهن إلى القسمة)[١]

وقال القطان في هذا الصدد : ({ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ } بين الزوجات فعليكم ان تكتفوا بواحدة فقط ، لكم ان تتمتّعوا بمن تشاؤون من السراري . واختيار الواحدة اقرب من عدم الجور والظلم)[٢]

الخاتمة

في نهاية هذه العجالة ، أرى من المناسب أن أسجل أبرز النتائج والتصورات التي خرجت بها ، ومن الله التوفيق :

- إن لفظة (العدل) من المشترك اللفظي فقد تعني الميل إلى الحق وهو الشائع عن هذه اللفظة ، وقد تعني الميل عن الحق كما في قوله تعالى((أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ

(١) تفسير السمرقندي ٢٥٠/٣ .
(٢) تفسير القطان ٢٦٤/١ .

بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ)) (النمل ٦٠).وهذا المعنى خارج نطاق بحثنا ، فلم نتعرض له .

- ومن معاني (العدل) التي استخدمها القران الكريم : الفداء ، كما في قوله تعالى : ((وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ)) (البقرة ٤٨) .وهذا المعنى خارج بحثنا كذلك .
- ومن معاني لفظة (العدل)الميل إلى الحق ولزوم جانبه ومخالفة الجور والظلم بكل صوره، وهو مناط بحثنا .
- إن الله سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه بأنه يأمر بالعدل ، على نحو لم يرد في غيره من المعاني .
- وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بنص القرآن ، أن الله أمره أن يعدل بين المؤمنين ولم تأت هذه الصيغة مع غير العدل.
- إن العدل تشعبت مجالاته ليعم الناس جميعا ، مهما كانت مساحة الاختلاف بينهم كبيرة .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- الأدب المفرد، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت – ١٤٠٩ – ١٩٨٩، الطبعة: الثالثة، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي

- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة [١٨٦ – ٢٨٢]: نور الدين الهيثمي [٨٠٧]المحقق : د. حسين أحمد صالح الباكري : مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورةالطبعة : الأولى ، ١٤١٣ – ١٩٩٢
- تفسير ابن عجيبة : المسمى بالبحر المديد في تفسير القران المجيد تأليف :أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة (ت ١٢٢٤هـ) تحقيق عمر أحمد الراوي / دار الكتب العلمية / بيروت لبنان / الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ .
- تفسير الآلوسي ، [روح المعاني] المؤلف : محمود الألوسي أبو الفضل الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .
- تفسير ابن عطية [المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز]، تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، الطبعة: الاولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد
- تفسير ابن كثير[تفسير القرآن العظيم]، تأليف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤٠١
- تفسير أطفيش[تيسير التفسير] تأليف محمد بن يوسف بن صالح بن عيسى أطفيش (ت١٣٣٢هـ)/ وزارة التراث القومي والثقافي / سلطنة عمان / الطبعة الأولى / ١٩٨٦ .
- تفسير البحر المحيط تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ

-٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل

- تفسير البيضاوي تأليف: البيضاوي، دار النشر: دار الفكر - بيروت.
- تفسير حقي : المؤلف : حقي مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com
- تفسير الزمخشري[الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل]، تأليف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي
- تفسير السمرقندي[بحر العلوم] تأليف: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، دار النشر: دار الفكر - بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي .
- تفسير الشعراوي : تأليف محمد متولي الشعراوي/ أخبار اليوم / قطاع الثقافة / الطبعة الأولى ١٩٩١ .
- تفسير الطبري [جامع البيان عن تأويل آي القرآن]، تأليف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥
- تفسير القطان[تيسير التفسير] تأليف قاضي القضاة إبراهيم القطان (ت ١٤٠٥هـ) /مراجعة وضبط وإشراف عمران أحمد أبو حجلة /الطبعة الأولى عمان /١٤٠٢ - ١٩٨٢ .

- تفسير الماوردي [النكت والعيون]المؤلف : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم .
- تفسير مقاتل تأليف : بو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م الطبعة : الأولى تحقيق : أحمد فريد .
- تهذيب اللغة ، تأليف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى ، تحقيق: محمد عوض مرعب .
- سنن الترمذي [الجامع الصحيح] ، تأليف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت –، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون
- العين ، تأليف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار النشر: دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي .
- لسان العرب ، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار النشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى